مَنَاهِـج العُلَمَـاء المُسْلمين
في دراسة
العَقَـاقير والنَّباتَـات الطبـية

أ . د . كمال الدين حسن البتانوني*

بين أيدينا مئات من المصنفات التي كتبها العلماء عبر العصور الإسلامية ، والتي تهتم بالطب والصيدلة ، و بالأدوية المفردة والمركبة وبالأقربازين وغير ذلك . بالإضافة إلى مئات المخطوطات التي لم تحقق حتى الآن .

ولا شك أنه بانتشار الإسلام وانطلاق المسلمين الفاتحين شرقا وغربا ، واتساع رقعة العالم الإسلامي ، نشأ مناخ إسلامي ، كان من أعظم نتائجه العلمية ، تحصيل الثقافات و العلم أينما وجد ، وازدهرت الحياة العلمية ، بفضل حث الإسلام على العلم والتعلم ، ونقل المسلمون التراث الإغريقي في العقاقير والنباتات الطبية ، وكتب الطب التي ألفها الإغريق وغيرهم ، وتعدوا مرحلة النقل ، وطوروا ما نقلوه ، وبذلوا كل جهد في تحسينه وإنمائه ، وتصويب ما رأوه من أخطاء فيه ، وأضافوا إليه الكثير من المعارف التي بنيت على التجربة والملاحظة ، وأنتجوا تراثا إسلاميا في هذه الموضوعات وغيرها ، أفاد منه علماء النهضة الأوروبية أيما فائدة ، وقد جرت ترجمة العديد من المخطوطات ونشرها باللغات الأجنبية ، ومثلت أساسا لتعليم هذه الفنون في أوروبا لقرون عديدة (انظر صور أغلفة بعض المخطوطات المترجمة للاتينية ، شكل ١ إلى ٥) .

وعلى الرغم من أن النهضة العلمية الحديثة ، أضافت الكثير من المعارف والمكتشفات ، إلا أن ما حوته كتب العلماء المسلمين عن النباتات الطبية ، والعقاقير ، والأدوية المفردة والمركبة ، والأقربازين وعلوم الصيدلة الأخرى ، ظل يمثل أساسًا علميًا للمعرفة في هذه الموضوعات ، ويكوِّن حجر الزاوية في علوم الصيدلة ، ودارسو علم العقاقير في عصرنا الحديث ، ما زالوا يدرسون عن النباتات الطبية والعقاقير ، ما تمتد جذوره إلى ما في بطون مصنفات العلماء المسلمين .

ولقد اتبع العلماء المسلمون في دراستهم للنباتات الطبية والعقاقير ، منهجًا علميًا لم يسبقهم إليه غيرهم من الأمم ، ومن الخطأ الشائع ما يزعمه بعض المتغربين والمتشدقين

* أستاذ علم البيئة ـ كلية العلوم ـ جامعة القاهرة

بالحضارة الأوروبية ، من أن اتباع المنهج العلمي لم يبدأ في تاريخ الفكر الإنساني إلا بعد عصر النهضة في أوروبا . ودراسة مؤلفات العلماء المسلمين في النباتات الطبية والعقاقير ، وهو ما سموه الأدوية المفردة ، والأدوية المركبة ، تظهر حقيقة واضحة جلية ، تدحض هذه المزاعم ، حيث التحم المنهج العلمي الذي اتبعوه ، مع ما وجدوه من علوم ومعارف لدى من سبقهم من الأمم ، وأنتجوا تراثا علميا لم يُعرف من قبل . وسنضرب بعض الأمثلة من مؤلفات المسلمين في مجال العقاقير والأدوية المفردة والمركبة ، لنوضح المنهج العلمي الذي انتهجوه في كتاباتهم .

ومن الجدير بالذكر ، قبل أن نبدأ في التجوال بين بعض كتب التراث والتعرف على المنهج العلمي الذي اتبعه العلماء المسلمون في كتابة مصنفاتهم ، أن نقارن بعض المفاهيم والتعريفات التي وردت في مصنفاتهم ، بمفهومنا في ظل المعارف الحديثة . فتعريف الصيدلي والصيدلة ، والعقار والأقربازين ، أمر نرى ضرورته ، لتكرار هذه المسميات في حديثنا . والبيروني يعرِّف الصيدلي فيقول : «الصيدلي هو المحترف لجمع الأدوية ، على أحد صورها ، واختبار الأجود من أنواعها ، مفردة أو مركبة ، مع أفضل التراكيب التي خلدها مبرزو الطب» . والصيدلاني ، لغويا ، هو بائع العقاقير الطبية ، ومركِّب الأدوية ، وهو الصيدلان أيضا ، والمادة فارسية معرَّبة ، والجمع صيادلة . وبمقارنة هذا التعريف العربي ، ومفهوم البيروني ، بما ذكره علماء الصيدلة المحدثون ، نجد تشابها وتطابقا ، حيث تعرَّف الصيدلة الحديثة بأنها : «علم يبحث في أصول الأدوية سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية ، من حيث تركيبها وتحضيرها ، ومعرفة خواصها الكيميائية والطبيعية ، وتأثيرها الطبي ، وكيفية استحضار الأدوية المركبة منها»[1] .

وأصول الأدوية ، ما هي إلا العقاقير ، والمفرد عَقَار ، ولغة : هو الأصل النباتي ، الذي يتداوى به ، أو أصول النبات ، وأطلق على كل ما يتداوى به ، والأدوية منها المفرد والمركب ، من نبات أو غيره . والتعريف العلمي الحديث للعقار هو : أنه مادة تؤثر بحكم طبيعتها الكيميائية في بنية الكائن الحي أو في وظيفته .

وكان المسلمون يعرفون الأقربازين بالمعنى الذي جاء في الجزء الخامس من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا ، وكان يقصد منها الأدوية المركبة ، وقد تطور مفهوم هذه الكلمة ، فأصبح يطلق على علم طبائع الأدوية ، وخصائصها ، ولا يخرج هذا المفهوم الجديد

(١) البتانوني ١٩٩٤ ـ ص ٦٠ .

على الوظيفة الأساسية للأقربازين عند المسلمين . وأقربازين أصلها يوناني ، ومعناها التركيب ، أي تركيب الأدوية المفردة وقوانينها ، ولا شك في أن المسلمين هم واضعو أسس فن الصيدلة ، وأول من اشتغل في تحضير الأدوية ، فضلا عما استنبطوه من الأدوية الجديدة ، وأنهم أول من ألف الأقربازين على الصورة التي وصلت إلينا ، وقد كانوا يعتمدون على الأقربازين في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة ، بل إنهم أول من أنشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة ، ومن أقرب الشواهد على سبقهم ، أسماء العقاقير التي أخذها الإفرنج عن اللغة العربية أو الفارسية أو الهندية التي عُرِّبت .

وقد ظلت مؤلفات علماء العرب والمسلمين في مجال الطب والصيدلة ، مرجعًا مهمًا للدارسين في أوروبا اللاتينية ، وتقول زيجريد هونكه : «قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم ، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير (أبو بكر الرازي) . وكان الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل أن ملك النصرانية الشهير لويس الحادي عشر اضطر إلى دفع اثني عشر ماركا من الفضة ، ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة هذا الكنز الغالي ، رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته أو صحة عائلته»[١] .

وفي جولتنا العلمية في حديقة التراث ، والحديث عن مناهج العلماء المسلمين في دراسة النباتات الطبية والعقاقير ، والتأليف في موضوعاتها ، سنكتفي بعرض ثلاثة مؤلفات ، تهتم بالأدوية المفردة والمركبة . وهي :

(١) القانون في الطب لابن سينا . (٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار . (٣) تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكي .

القانون في الطب لابن سينا

(المتوفى ٤٢٨ هـ/١٠٣٦ م)

الكتاب الثاني وهو الأدوية المفردة

يقع كتاب (القانون في الطب) في خمسة كتب ، قسمها ابن سينا على النحو التالى : (الكتاب الأول) : في الأمور الكلية في علم الطب ، (الكتاب الثاني) : في الأدوية المفردة ، (الكتاب الثالث) : في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضوا عضوا من المفرق

(١) زيجريد هونكه ١٩٦٩ .

إلى القدم ، ظاهرها وباطنها ، (الكتاب الرابع) : في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو ، وفي الزينة ، (الكتاب الخامس) : في تركيب الأدوية وهو الأقربازين[١] .

وسنقتصر في عرضنا على الكتاب الثاني ، وهو المتعلق بالأدوية المفردة ، وقد قسمه ابن سينا إلى جملتين : الأولى منهما القوانين الطبيعية ، التي يجب أن تعرف عن أمر الأدوية المستعملة في الطب ، والثانية منهما في معرفة قوى الأدوية الجزئية .

وينبغي أن نقف إجلالا واحتراما للشيخ الرئيس ابن سينا ، فإنه قسم الجملة الأولى عن الأدوية المفردة إلى ست مقالات تعد أساسا علميا لأي دارس لعلم العقاقير والأقربازين ، ونوجز ما حوته المقالات الستة عن الأدوية المفردة فيما يأتي :

المقالة الأولى : في أمزجة الأدوية ، وفيها تحدث ابن سينا عن صفات الأدوية المفردة من حرارة ورطوبة ، وبرودة ويبس ، قياسا إلى بدن الإنسان ، وبيَّن أن صفات الأدوية المفردة ، تتغير بتركيبها مع أدوية أخرى ، وفرق بين المزج الذي ينتج عنه خليط من المادتين ، أو ينتج عنه مركب مختلف لتفاعلهما ، وبيَّن أن صفات كل منهما تختلف عن صفات العناصر الأصلية ، التي يتكون منها الخليط أو المركب .

أو ليست هذه أفضل بداية في تعرف الأدوية؟ إن هذا المنهج في الترتيب ، وهو التعرف على الشيء قبل تعرف ما ينتج عنه ، يعد دليلا على حسن الترتيب والتبويب ، والعرض المنطقي المتسلسل .

المقالة الثانية : في تعرف قوى أمزجة الأدوية بالتجربة ، حيث يقول : «إن التجربة تهدي إلى معرفة قوة الدواء بعد مراعاة شرائط» . ويتضح لنا من هذه العبارة مدى إدراك ابن سينا لأهمية المنهج التجريبي . فالملاحظة التي حصل عليها من تعرفه أمزجة الدواء ، يتبعها ابن سينا بالتجربة ، لتعرف قوى هذا الدواء . بل إن ابن سينا يضع شرائط للتجربة كالآتي :

١- أن يكون الدواء خاليا عن كيفية مكتسبة ، بالتسخين أو التبريد ، أو ما شابه ذلك .

٢- أن يكون المُجَرَّب عليه علة مفردة .

٣- أن يكون الدواء قد جُرِّب على المُضَادَّة ، فقد ينفع الدواء من مرضين ، وبذلك يكون نفعه من أحدهما بالذات ومن الآخر بالعَرَض ، أي نتج عن أثر له شيء آخر .

(١) ابن سينا ، ص ٣ .

٤- أن تكون القوة في الدواء مقابلا بها ما يساويها من قوة العلة . ويجب أن يجرب أولاً على الأضعف ، ويتدرج يسيرا يسيرا حتى تعلم قوة الدواء .

٥- أن يراعي الزمان الذي يظهر فيه أثره وفعله ، فإن ظهر فعله أول استعماله أقنع أنه يفعل ذلك ، وإن تأخر ، أو ظهر له فعل مضاد عند أول استعماله ، فهو موضع اشتباه .

٦- أن يراعى استمرار فعله على الدوام ، وعلى الأكثر ، فإن لم يكن كذلك ، فصدور الفعل عنه بالعَرَض .

٧- أن تكون التجربة على بدن الإنسان .

وما وضعه ابن سينا من شرائط في تجربته لتعرف قوى الأدوية وأثرها ، نتحدى به أكبر العلماء في وقتنا الراهن ، أن يزيد عليه ، أو ينقص منه . إن هذا المنهج التجريبي ، والأصول التي اتبعها في ذلك ، لا مرية في صحتها وسبقها .

المقالة الثالثة : في تعرف أمزجة الأدوية المفردة بالقياس . وخلاصة ما ذكره ابن سينا ، أنه ينظر فيما ثبت نفعه بشيء ، ويعرف طعمه وريحه ولونه وسائر أعراضه اللازمة ، ويلحق به كل ما شاكله في ذلك ، أي يكتسب بهذه الطريقة دلائل واضحة على قوى مجهولة . فبعد وصوله إلى أحكام عامة بوساطة الاستقراء ، فإنه يستنبط بالقياس النتائج التي تؤدي إليها .

المقالة الرابعة : في تعرف أفعال قوى الأدوية المفردة ، وقد سرد ابن سينا سبعة وأربعين مسمى لأفعال الأدوية ، نعتقد أنه لم يترك شيئا من أفعال الأدوية إلا ذكرها وشرحها . وقسم الأفعال إلى ستة أقسام كالآتي :

١- المسَخن ، الملَطِّف ، المحلل ، المخَشِّن ، المفتح ، المُرْخي ، المُنْضج ، الجاذب ، المقَطع ، الهاضم ، كاسر الرياح ، المحَمر ، المحَكِّك ، المقرِّح ، الأكَّال ، المحَرِّق ، اللاذع ، المفَتت ، المعَفن ، الكاوي ، المقَشِّر .

٢- المبرِّد ، المقَوي ، الرادع ، المغلِّظ ، المفَجِّج ، المخَدِّر .

٣- المرطب ، المنفِّخ ، الغَسَّال ، الموسخ للقروح ، المزلق ، الملمس .

٤- المجفف ، العاصر ، القابض ، المسدد ، المُفْري ، المدَمِّل ، المنْبت للحم ، الخاتم .

٥- قاتل السم ، التِّرياق ، البادزهر* .

٦- المُسْهل ، المُدِر ، المُعَرق .

وقد عرف فعل هذه الأنواع ، وضرب أمثلة لكثير منها ، وبين المتضادين في الفعل ، وإنا نرى أنه يمكن لعلماء الطب والصيدلة العرب أن يفيدوا من هذه المسميات ، في تعريب ما يستعصي عليهم من مصطلحات في هذا المجال . ونؤكد أنها ترجمت من العربية إلى لغات أخرى ، عبر الترجمات العديدة التي جرت لكتاب القانون ، واستعمل الأوروبيون هذه المصطلحات بلغاتهم بعد ترجمتها عن العربية ، أفلا يجدر بنا أن نتعرف على هذه المصطلحات في لغتنا؟

المقالة الخامسة : في أحكام تعرض للأدوية من خارج . وفيها بيَّن ما تتعرض له الأدوية بالصناعة ، مثل الطبخ ، والسحق ، والإحراق بالنار ، والغسل ، والإجماد في البرد ، والوضع إلى جوار أدوية أخرى ، ووضع أثر هذه العمليات في قوة الدواء وفاعليته . ولا شك أن هذه الأمور لا يتعرض لها أو يهتم بها إلا خبير مجرب . وأنها تدل على معرفة دقيقة بأمور العقاقير المفردة والمركبة . وهي موضع دراسات في كليات الصيدلة .

المقالة السادسة : في التقاط الأدوية وادخارها ، ويذكر فيها الأدوية المعدنية والحيوانية والنباتية ، وعن الأخيرة يقول : «أما النباتية ، فمنها أوراق ، ومنها بذور ، ومنها أصول وقضبان ، ومنها زهر ، ومنها ثمار ، ومنها جملة النبات كما هو» [١] . والجدير بالذكر أن بعض كتب العقاقير التي تدرس في العصر الحديث ، في كليات الصيدلة ، قد قسمت أبوابها وفصولها حسب العضو المستعمل في الدواء ، وهذا يطابق ما قدمه ابن سينا عن الأدوية النباتية .

وقد وضع ابن سينا معايير لجمع النباتات الطبية أو أجزائها أهمها وقت جمع النبات وموسمه ، وتؤكد الدراسات الحديثة على هذا المعيار ، فقد أثبتت التجارب أن المواد الفعالة في عضو ما بجسم النبات ، تتأثر كميتها بالوقت والموسم الذي تُجمع فيه ، فقد تقل أو تكاد تختفي بعض المواد الفعالة في نبات اللحلاح (خميرة العرب ، العُكْنة) Colchicum autumnale ، أو بصل العنصل (بصل فرعون- الإشْقيل) Urginea maritima على سبيل المثال لا الحصر ، إذا ما جمع النبات في موسم غير فصل الخريف .

---

* كالترياق ولكنه من المعدنيات ، وابن سينا يقول ألا فرق بينهما كثير .

(١) ص ٢٣٨ .

وبيَّن ابن سينا شرائط لجمع الأجزاء المختلفة من النبات ، وهذا يتفق تماما مع شرائط جمعها في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، حتى تحتوي على أكبر قدر من المادة الفعالة ، ونوجز ما أورده ابن سينا في هذا الصدد . إذ يقول : «والأوراق يجب أن تجتنى بعد تمام أخذها من الحجم الذي لها ، وبقائها على هيئتها ، قبل أن يتغير لونها وينكسر ، فضلا عن أن تسقط وتنتشر ، وأما البذور ، فيجب أن تلتقط بعد أن يستحكم جرمها ، وتنفش عنها الفجاجة والمائية . وأما الأصول ، فيجب أن تؤخذ كما تريد قبل أن تسقط الأوراق ، وأما القضبان ، فيجب أن تجتنى وقد أدركت ، ولم تأخذ في الذبول والتشنج . وأما الزهر ، فيجب أن يجتنى بعد التفتيح التام ، وقبل التَّذَبل والسقوط . وأما الثمار ، فيجب أن تجتنى بعد تمام إدراكها ، وقبل استعدادها للسقوط . وأما المأخوذ بجملته فيجب أن يؤخذ على غضاضته عند إدراك بذره ، وكلما كانت الأصول أقل تشنجا ، والقضبان أقل تذبلا ، والبذور أسمن ، وأكثر امتلاء ، والفواكه أشد اكتنازا وأرزن ، فهو أجود»[١] .

ويؤكد ابن سينا حقيقة علمية ، أثبتتها الدراسات الحديثة ، فيقول عن النباتات الطبية والبرية : «كلها أقوى من البستانية ، وأصغر حجما في الأكثر» . وقد أثبتت نتائج البحوث الحديثة أن نباتا مثل السكران Hyoscyamus muticus تنقص فيه كمية القلوانيات Al-kaloids ، وهي المواد الفعالة التي يحتوى عليها ، عند زراعته وريِّه ، بينما تحوي النباتات البرية منه ، التي تعيش في بعض صحارى الوطن العربي ، كمية كبيرة من هذه القلوانيات . وقد سجلت البحوث ملاحظات مماثلة على غيره من أنواع النباتات الطبية البرية ، كما أوضحت الدراسات الحديثة أن النبات البري ، الذي يتعرض غالبا لنقص في بعض احتياجاته من بيئته ، ينمو بمعدل أكبر عند استزراعه ، وقد يشذ عن ذلك بعض الأنواع النباتية . لذا نلمس الدقة في تعبير ابن سينا ، حيث يقول في نهاية جملته : «في الأكثر» . إنها تعبيرات علمية دقيقة ، لم تُلق على عواهِنها أو عِلاتها ، إنما صدرت بعد استقراء تضمن الملاحظة والتجريب . وإنه لحَرِيٌّ بعلماء الصيدلة وكيمياء النبات في عصرنا الحديث ، خاصة المهتمين بالتراث العلمي الإسلامي ، أن يربطوا بين نتائج دراساتهم ، وبين ما توصل إليه العلماء المسلمون في هذا المجال ، على الأقل ، مثلما يشيرون بكل اعتزاز إلى اتفاق نتائجهم مع نتائج علماء الغرب .

(١) ص ٢٣٨ .

ومما يدعو إلى الإكبار والتقدير ، أن ابن سينا في عرضه لمفردات النباتات الطبية والعقاقير ، اتبع منهجا علميا لا يُبارى ، من حيث ما أورده مقابل كل عقار ، وقد اتبع في ترتيب الأدوية المفردة ، ترتيب حروف أبجد هوز . . . .الخ . ويقول : «إني أذكر في هذا القسم أسماء الأدوية على ترتيب حروف الجمل ، ليسهل على المشتغل بهذه الصناعة التقاط منافع الأدوية كلٍّ فيما يختص بعضو عضو . . .» ولو أن هذا الترتيب لم يتبعه كثير من اللاحقين ، بل رتبوا مصنفاتهم حسب حروف المعجم .

وابن سينا في عرضه لما يزيد عن ثمانمائة دواء مفرد ، يوضح مقابل معظمها ، خصائص ذوات أهمية في التعرف على الدواء وفعله في الأعضاء المختلفة من بدن الإنسان ، وأوردها في كتابه على النحو الآتي :

١- أسماء الأدوية المفردة وتعريف ماهيتها .

٢- اختيار الجيد منها .

٣- كيفياتها وطبائعها .

٤- خواص أحوالها وأفعالها الكلية ، مثل التحليل والإنضاج والتَّغْرِية والتخدير وغير ذلك من الأفعال .

٥- أفعالها التي تتعلق بالزينة في الجلد والشعر ، أو أية أعضاء أخرى .

٦- أفعالها في الأورام والبثور .

٧- أفعالها في القروح والجراحات والكسور .

٨- أفعالها في أمراض المفاصل والأعصاب .

٩- أفعالها في أمراض أعضاء الرأس .

١٠- أفعالها في أمراض أعضاء العين .

١١- أفعالها في أمراض أعضاء النفس والصدر .

١٢- أفعالها في أمراض أعضاء الغذاء .

١٣- أفعالها في أمراض أعضاء النفض .

١٤- الحميات .

١٥- نسبة الأدوية للسموم .

١٦- في إبدالها حيث لا يوجد المقصود من الأدوية .

ونعتقد أنه لو قُيِّض لشخص أن يسجل كل ما أورده ابن سينا ، في ضوء المعارف الحديثة ، مقابل العقاقير المعروفة ، لكان موسوعة تحتاج مئات السنين في تصنيفها . ولذلك فلا غرابة أن يظل كتاب «القانون في الطب» المرجع الرئيس لطلاب الطب في أوروبا عبر عدة قرون (انظر الأشكال من ١ إلى ٣ التي تمثل غلاف ترجمات لاتينية لكتاب القانون لابن سينا) .

كتاب الجامع لمفرادت الأدوية والأغذية

لابن البيطار

(المتوفى في دمشق في ٦٤٦هـ/١٢٤٨ م)

ويعد هذا الكتاب من أغزر كتب المفردات مادة ، لأنه جمع المعروف منها منذ أقدم عصور التأليف فيها عند اليونانيين ، إلى أن تعاورها المسلمون في العصر العباسي ترجمة ، ثم تجربة ، ثم تحقيقا وتأليفا . وقد وصف ابن البيطار في هذا الكتاب ما ينوف عن ١٤٠٠ عقار ، منها ثلاثمائة عقار لم يرد ذكرها في المؤلفات الأخرى . وقد سافر ابن البيطار إلى أنحاء كثيرة من المعمورة للحصول على نباتات جديدة ، ولتحقيق النباتات التي كتب عنها الأولون . وهو بأسفاره تلك عالم طبيعي ميداني ، يدرس الأشياء عن كثب في أماكنها الطبيعية ، ويتحقق منها بنفسه . ولا شك أن هذا العمل العلمي أضاف الكثير ، وحفظ الكثير كذلك . وقد طبع الكتاب أكثر من مرة باللغة العربية (بولاق سنة ١٢٩١هـ) . كما طبعت أجزاء منه بترجمتها اللاتينية عام ١٧٥٨م بمدينة قرمونة . كما ترجمت أجزاء منه إلى لغات أخرى ، مثل الفرنسية والألمانية .

ولقد سار ابن البيطار على نمط في البحث يشبه الطريقة العلمية الحديثة ، أو المنهج التجريبي ، ونبين أهم ما نهج عليه ابن البيطار في مؤلفه على النحو الآتي :

١- يتحدث ابن البيطار فيقول : «قد استوعبت القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار ، عند الاحتياج إليها في ليل أو نهار . واستوعبت فيه جميع ما في المقالات الخمسة من كتاب الأفضل ديوسقوريدس بنصِّه ، وكذلك فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في المقالات الستة من مفرداته بنصِّه ، ثم ألحقت بقولهما أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والحيوانية ما لم يذكراه . ووصفت فيها عن ثقات المحدثين ما لم يَصِفاه ، وأسندت في جميع تلك الأقوال قائليها ، وعرَّفت طرق النقل فيها بذكر ناقليها ، واختصصت بما تم لي به من الاستعداد ، وصح لي القول فيه ، ووضح عند الاعتماد عليه» .

إن ما اختطه ابن البيطار في كتابه يؤكد أن اسم هذا الكتاب «الجامع» اسم في محله ، فإننا نقرأ فيه ما كتبه اليونانيون منذ عهد ديوسقوريدس ، وما كتبه بعده جالينوس الطبيب ، ثم نجد تجارب الهنود والمصريين القدماء ، إلى جانب ما أضافه وحققه الأطباء المسلمون ، كالرازي وابن سينا من المشارقة ، وكابن جلجل ، وابن وافد ، والغافقي من الأندلسيين . وهكذا يؤكد ابن البيطار على الأمانة في النقل ، والاستيعاب الواعي الذكي لما اطلع عليه ، والإضافة والنقد والتحليل .

٢- الاعتماد على التجربة . فعلاوة على توخِّيه صحة النقل فيما ذكره عن المتقدمين ، وأحرزه من المتأخرين فإنه يقول : «فما صح عندي بالمشاهدة والنظر ، وثبت لدي بالخبرة لا الخبر ادخرته كنزا سريا ، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنيا ، وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية ، في المنفعة والماهية ، وللصواب والتحقيق ، أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق ، نبذته ظهريا وهجرته مليا ، وقلت لناقله أو قائله : لقد جئت شيئا فَرِيّا ، ولم أحابِ في ذلك قديما لسبقه ، ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه» .

مما لا شك فيه أن ابن البيطار قد نقل عن غيره ، لكنه لم يكن نقل الناسخين ، وإنما استشهاد العالم الخبير المدقق ، غير المستسلم لأقوال غيره دون ثبات لديه بالخبرة لا الخبر . وإنه لمنهج علمي ، قلَّ من يتبعه في أيامنا هذه .

٣- تحاشى التكرار ، حيث يقول : «ترك التكرار حسب الإمكان ، إلا فيما تمس الحاجة إليه في معنى أو بيان» .

٤- حسن الترتيب والتبويب في كتابه ، فيقول عنه : «وتقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ، ليسهل على الطالب ما طلب ، في غير مشقة ولا عناء ولا تعب» .

٥- التأكيد على مبدأ التحقيق العلمي ، فكثيرا ما يتعقب المترجمين لكتاب ديوسقوريدس في تسمية النباتات وأوصافها ، ويصحح أخطاءهم في وصفها واستعمالها ، ومقادير ما يؤخذ منها في العلاج ، وما يبدل منها إذا عدمت . ويقول في ذلك : «التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر ، لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل ، واعتمادي على التجربة والمشاهدة ، حسب ما ذكرت من قبل» . ولذلك رحل إلى دول شمال أفريقيا وشرق البحر الأبيض المتوسط وبلاد

اليونان والروم . وساعده ذلك في التعرف علي كثير من الحقائق ، لذلك نرى في كتابه كثيرا من المآخذ والاستدراكات ، استدركها على المترجمين ، وعلى من تبعهم من المؤلفين .

٦- تسجيل أسماء الأدوية بلغات عديدة ، وضبط هذه الأسماء ،حيث يقول : «أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات ، مع أني لا أذكر فيه ترجمة دواء- إلا وفيه منفعة مذكورة ، أو تجربة مشهورة - وذكرت كثيرا مما يعرف في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة ، كالألفاظ البربرية واللاتينية ، وهي أعجمية الأندلس ، إذا كانت مشهورة عندنا ، وجاء بها في معظم كتبنا ، وقيَّدتُ ما يجب تقييدهُ منها بالضبط والشكل والنقاط ، تقييدا يؤمن معه التصحيف ، ويسلم قارئه من التبديل والتحريف إذ كان أكثر الوهم والغلط الداخل على الناظرين في الصحف ، إنما هو من تصحيفهم لما يقرءونه ، أو سهو الوراقين فيما يكتبونه ، وسميته الجامع ، لكونه جمع بين الدواء والغذاء ، واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز والاستقصاء» .

ولا جدال في أن ما اتبعه ابن البيطار في دراسته للنباتات الطبية والعقاقير والكتابة فيها يساير أحدث المناهج العلمية من أمانة النقل ، وتحقيق لما ينقل ، ومشاهدة ونظر واختبار ، ونقد وتحليل ، لما جاء به من سبقوه سواء النقلة أو المؤلفون الأصليون .

وربما يؤخذ على ابن البيطار ، أنه لم يجمع أقوال من سبقوه ، كلٌّ في موضع واحد ، وفي الحديث عن المادة الطبية الواحدة ، فينقل رأيا لجالينوس عن مادة ، وينتقل إلى ما قاله ديوسقوريدس عنها ، ثم يعود مرة أخرى إلى رأي لجالينوس . ومع ذلك فإن هذا المأخذ لا يقلل من قيمة كتابه «الجامع» .

تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب

لداود بن عمر الأنطاكي

(المتوفى ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩م)

«التذكرة» كتاب علمي قيِّم ، حوى العديد من المعارف والمعلومات عن كثير من النباتات الطبية والعقاقير ، جمع فيه صاحبه ، على الرغم من أنه كان ضريرا ، خلاصة ما وصلت إليه المعارف والعلم حتى سنة ٩٧٦هـ كما ذكر في مقدمة كتابه . وما زالت «التذكرة» تمثل المرجع لكثير من العشابين والعطارين في معظم المدن العربية ، ولعله أشهر كتاب في هذا المجال . وعلى الرغم من انتشار الصيدليات ، وما بها من أدوية وعقاقير

حديثة ، إلا أن حوانيت العطارة ما زالت صامدة ، يطرقها الكثيرون طلبا للتداوي بما يصفه العطارون ، وبما يقدمونه من عقاقير ، يستعينون في تجهيزها وتركيبها بما ورد في كتب مثل «التذكرة» .

يقول الأنطاكي عن كتابه : ورتبته حسبما تخيَّلته الواهمة على مقدمة ، وأربعة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة : ففي تعداد العلوم المذكورة في هذا الكتاب ، وحال الطب معها ، ومكانته ، وما ينبغي له ولمتعاطيه ، وما يتعلق بذلك من الفوائد .

والباب الأول : في كليات هذا العلم والمدخل إليه .

والباب الثاني : في قوانين الإفراد والتركيب ، وأعماله العامة ، وما ينبغي أن يكون عليه من الخدمة ، في نحو السحق والقلي والغسل ، والجمع والإفراد ، والمراتب ، والدرج ، وأوصاف المقطع والملين والمفتح ، إلى غير ذلك .

والباب الثالث : في المفردات والمركبات وما تعلق بها من اسم وماهية ومرتبة ونفع وضرر وقدر وبدل وإصلاح ، مرتبا على حروف المعجم .

والباب الرابع : في الأمراض وما يخصها من العلاج وبسط العلوم المذكورة وما يخص العلم من النفع ، وما يناسبه من الأمزجة ، وما له من الدخل في العلاج .

والخاتمة : في نكت وغرائب ولطائف وعجائب .

ونظرة سريعة أو متفحصة إلى هيكل كتاب التذكرة تعطي فكرة واضحة عن التسلسل المنطقي في عرض موضوع معقد ومتشعب ، مثل موضوع كتاب «التذكرة» . إن التتابع المنطقي في تبويب الكتاب ، على الرغم من تأليفه في زمان يسبق زماننا بأكثر من أربعة قرون ، ليدل دلالة قاطعة على قدرة المؤلف وصفاء ذهنه .

والمنهج العلمي الذي اتبعه الأنطاكي في كتابه ، يدعو للتقدير والاحترام ، فهو يقرر في أمانة علمية ، ما لجأ إليه من مصادر لتذكرته ، فيقول : «نحن كالمقتبسين من تلك المصابيح ذُبالة ، والمغترفين من تلك البحور بُلالة» .

ومنهج العرض التاريخي لمن ألف وكتب في موضوع أي كتاب من قبل يظهر في مقدمة الأنطاكي لكتابه ، وما زال العلماء حتى الآن - وسيظلون على ذلك- يبدأون دراساتهم بالعرض التاريخي لدراسة موضوع بحثهم . ونحن هنا نسجل ما ذكره الأنطاكي في

هذا الصدد ، للتأكيد على ما ذكرناه من منهج ، وللإفادة من هذا المسرد التاريخي . يقول الأنطاكي : «وأول من ألف شمل هذا النمط ، وبسط للناس فيه ما انبسط ، ديوسقوريدس اليوناني في كتابه الموسوم بالمقالات في الحشائش ، ولكنه لم يذكر إلا الأقل ، حتى إنه أغفل ما كثر تداوله ، وامتلأ الكون بوجوده ، كالكمون والسقمونيا والغاريقون ، ثم روفس ، فكان كلامه قريبا من كلام الأول ، ثم فولس ، فاقتصر على ما يقع في الأكحال خاصة ، على أنه أخل بمعظمها ، كاللؤلؤ والإثمد ، ثم أندرماخس الأصغر ، فذكر مفردات الترياق الكبير فقط ، ثم رأس البغل الملقب بجالينوس ، وهو غير الطبيب المشهور ، فجمع كثيرا من المفردات ، ولكنه لم يذكر إلا المنافع خاصة دون باقي الأحوال ، ولم أعلم من الروم مؤلِّفا غير هؤلاء ، ثم انتقلت الصناعة إلى أيدي النصارى ، فأول من هذب المفردات اليونانية ، ونقلها إلى اللسان السرياني دويدرس البابلي ، ولم يزد على ما ذكره شيئا ، حتى جاء الفاضل المعرب ، والكامل المجرب ، إسحاق بن حنين النيسابوري ، فعرَّب اليونانيات والسريانيات ، وأضاف إليها مصطلح الأقباط ، لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وأنطاكية ، واستخرج مضار الأدوية ومصالحها ، ثم تلاه ولده حنين ، ففصل الأغذية من الأدوية فقط ، ولم أعلم من النصارى من أفراد هذا الفن غير هؤلاء ، وأما النجاشعة فلهم كثير من الكُنَّاشات ، ثم انتقلت الصناعة إلى الإسلام . وأول واضع فيها الكتب من هذا القسم ، الإمام محمد بن زكريا الرازي ، ثم مولانا الفرد الأكمل ، والمتبحر الأفضل الأمثل ، الحسين عبد الله بن سينا ، رئيس الحكماء ، فضلا عن الأطباء ، فوضع الكتاب الثاني من القانون ، وهو أول من مهد لكل مفرد سبعة أشياء ، وأخلَّ بالأغلب ، إما لاشتغال باله ، أو لعدم مساعدة الزمان له ، ثم ترادف المصنفون على اختلاف أحوالهم ، فوضعوا في هذا الفن كتبا كثيرة ، من أجلِّها مفردات ابن الأشعث ، وأبي حنيفة والشريف ابن الجزار ، والصائغ ، وجرجس بن يوحنا ، وأمين الدولة وابن التلميذ ، وابن البيطار ، وصاحب ما لا يسع جهله ، وأجل هذه الكتب ، الكتاب الموسوم بمنهاج البيان ، صناعة الطبيب الفاضل يحيى بن جزلة رحمه الله تعالى ، فقد جمع المهم من قسمي الإفراد والتركيب ، في ألطف قالب وأحسن ترتيب . وأظن أن آخر من وضع في هذا الفن الحاذق الفاضل محمد ابن علي الصوري» .

إن هذا التأريخ للكتابة في الأدوية المفردة والمركبة ، استوعب جُلَّ ما كُتب ، على الرغم من إيجازه ، بل إن الأنطاكي وجه النقد لبعض المؤلفين بأسلوب بسيط ، خلال عرضه لهذا التاريخ الحافل ، وبعد عرضه هذا ، يوضح الأنطاكي بعض المثالب ، وينتقد النقص في بعض هذه الكتب ، منتهجا منهجا علميا في النقد الذي يعتمد على المعرفة والتجريب ،

فيقول : «وكلٌّ من هؤلاء-يقصد من ألف في المفردات والمركبات الدوائية- لم يَخْلُ كتابه ، مع ما فيه من الفوائد ، عن إخلال بالجليل من المقاصد ، إما ببدل أو إصلاح ، أو تقدير ، أو إطلاق للمنفعة وشرطها التقييد . . .» وضرب العديد من الأمثلة للأخطاء التي وقع فيها مَنْ سبقه من المؤلفين . وهذا يوضح لنا منهج التحقيق العلمي فيما ينقله الأنطاكي عن السابقين . وعلى هذا المنهج العلمي السليم ، يمضي الأنطاكي في وصفه للعقاقير والنباتات الطبية ، مؤكدا : «إنا ننتخب لُبَّ كتب تزيد على مائة خصوصا من القرابازينات ، يعني التراكيب ، والكُنَّاشات . . .» .

وعلى الرغم من تباعد زماننا عن زمان الأنطاكي ، مع تطور العلوم ووسائل البحث العلمي ، فإن الأنطاكي وضع قوانين لوصف العقاقير والأدوية ، تمثل الدقة المتناهية في المعرفة بهذه العقاقير ، وتفهم أصول العمل بها ، والاستفادة منها وتوضح المنهج العلمي في هذا المجال . فيقول الأنطاكي عن المفردات الطبية : «اعلم أن كل واحد من هذه المفردات يفتقر إلى قوانين عشرة» .

وهذه البيانات العشرة التى ينبغي أن تذكر مع كل مفرد من المفردات الطبية هي :

١ - ذكر أسمائه بالألسن المختلفة ليعمَّ نفعه .

٢ - ذكر ماهيته من لون ، ورائحة ، وطعم ، وتَكَرُّج ، وخشونة ، وملامسة ، وطول وقصر .

٣ - ذكر جيِّده و رديئه ليؤخذ أو يُجتنب .

٤ - ذكر درجته في الكيفيات الأربعة ، ليتبين الدخول به في التراكيب .

٥ - ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن .

٦ - كيفية التصرف به مفردا ، أو مع غيره ، مغسولا أو لا ، مسحوقًا في الغاية أو لا ، إلى غير ذلك .

٧ - ذكر مضاره .

٨ - ذكر ما يصلحه .

٩ - ذكر المقدار المأخوذ منه منفردا أو مركبا ، مطبوخا أو منشفا . بجرمه أو بعصارته ، أوراقا أو أصولا ، إلى غير ذلك من أجزاء النباتات التسعة .

١٠ -ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد .

وأضاف الأنطاكي أن بعضهم زاد أمرين آخرين : الأول الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر ، والثاني من أين يجلب الدواء .

وباستعراضنا لهذه القوانين للكتابة عن المفردات الطبية ، فإنه مما لا شك فيه أن أي كتاب عن النباتات الطبية يلتزم مؤلفه بهذه القواعد ، سيكون موسوعة علمية ، تفوق قدرة أي عالم واحد على استيعابها . وعلى الرغم من غياب الإمكانيات المتاحة في عصر الأنطاكي ، فإنه تمكن بمفرده من إعداد هذا الكتاب القيم . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة تسع مرات على الأقل من سنة ١٢٥٤ حتى سنة ١٣٢٤هـ .

نظرة علمية في مثال من النباتات الطبية

ورد ذكره في المصنفات الثلاثة

واستكمالا لجولتنا العلمية في كتب التراث الثلاثة التي تناولناها ، اخترنا مفردا من المفردات الدوائية التي ورد ذكرها في الكتب الثلاثة ، وهو نبات الكَبَار .Capparis spinosa وهو نبات له أسماء عديدة نذكر منها : (كَبر) : كَبَار- قَبَّار- أَصَف- لَصَف- شَفَلَّح (قد تطلق المسميات الثلاثة الأخيرة على الثمرة) .

والكبار نبات ينمو في صحاري الوطن العربي ، وبلدان البحر الأبيض المتوسط ، في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا . وينمو في الأراضي الصخرية في المناطق الجبلية . وتستعمل براعم أزهاره ، وأزهاره و أوراقه وقلف جذوره في التداوي من بعض الأمراض ، كما تملَّح وتخلَّل براعم أزهاره وأزهاره .وتستعمل براعم أزهاره المخللة في تتبيل البيتزا . وسنعرض ما ذكره المصنفون الثلاثة في كتبهم التي ذكرناها . وطعم النبات حريف ، وله طعم المستردة لما يحويه من مواد كبريتية .

ماذكره ابن سينا

(كَبَر)

(الماهية) هو ثمر وله أصل ثمرة أخرى كالقثاء غير الكبر وهي حريفة حارة يجعل في العصير فيحفظه من الغليان كالخردل [١] وأصله مر حريف ومنه نوع قلزمي مبثر للفم إلى حد أن ينفظ [٢] ويورم اللثة .

(الاختيار) أنفع ما فيه قشور أصله[٣] .

---

(١) هذا يدل على أن النبات يحتوي على مادة مضادة للبكتريا والفطريات . وقد ثبت ذلك حديثا

(٢) (في الأصل ينفظ) ينفط : النفطة هي البثرة ويعني أنها تسبب بثورا .

(٣) قشور القَلَف bark ، الأصل= الجذر .root

(**الطبع**) الكائن في البلاد الحارة أحر وحر جميعه ويبسه في الثانية[١] .

(**الخواص**) هو محلل مفتح جلاء ، وأصله مقطع منق مفتح في قشوره مرارة وحرافة وقبض[٢] ، وغذاء ثمرته قليل لا سيما إذا ملح[٣] ، ورطبه أغذى من يابسه .

(**الأورام والبثور**) أصله[٤] مُحلل للخنازير[٥] والصلابات ، ويخلط به ما يكسر قوته وقد جرب ورقه لذلك .

(**الجراح والقروح**) قشور أصله إذا وضع على الجراحات الخبيثة والوسخة نفعها أعظم منفعة .

(**آلات المفاصل**) قشور أصله نافع لعرق النسا وأوجاع الورك ، وقد يحتقن بعصيره فينفعه جدا وينفع من الفالج[٦] والخدر ، ويشد الأعضاء بما فيه من القبض ولذلك ينفع من الهتك العارض في رؤوس العضلة وأوساطها .

(**أعضاء الرأس**) قشور أصله يمضغ فيجلب الرطوبة من الرأس ويسكن الوجع البارد فيه وعصارته تقطر في الأذن لديدانها[٧] . وقد يعض على قشور أصله بالسن الألم فينفع وخصوصا إذا كان رطبا ، أو ورقه وكذلك المضمضة بخل طبخ فيه أو بشراب أو مرة بشراب ومرة بخل .

(**أعضاء النفس والصدر**) ينفع المملوح منه أصحاب الربو[٨] .

(**أعضاء الغذاء**) أنفع شيء للطحال وصلابته مشروبا وضمادا[٩] بدقيق الشعير ونحوه وخصوصا قشر أصله ، وكثيرا ما يستفرغ من الطحال مادة غليظة سوداوية فيعقبه[١٠] العافية .

---

(١) هذا أمر ثبت علميا وهو أن تحتوي نباتات بعض الأنواع على مواد فعالة أكثر إذا ماتعرضت لظروف حارة أو جافة .

(٢) هذا يعني أن قلف الجذور يحتوي على مواد فعالة مختلفة ، وأثبتت الدراسات ذلك .

(٣) تخلل براعم الأزهار وتوضع لتتبيل البيتزا - ويحصل عليها من نباتات تزرع في جنوب أوروبا وإسبانيا لهذا الغرض ، وفي العراق تكبس (تملّح) الأزهار وبراعمها للأكل .

(٤) جذره .

(٥) Scrofula

(٦) Hemiplegia

(٧) مرض يسمى النَّغَف .Myiasis

(٨) Asthma

(٩) Cataplasm, Poultice

(١٠) فتعقبه .

(**أعضاء النَّفض**) يسهل خلطا خاما غليظا ويدر الطمث[١] ، ويقتل الحيات والديدان في المعى[٢] ، وينفع من البواسير[٣] ، ويزيد في الباه[٤] ، والمملح منه قبل الطعام مطلق .

(**السموم**) هو ترياق[٥] جيد .

ماذكره ابن البيطار

(كَبَر)

*ديوسقوريدس في الثانية : هو شجيرة مشوكة منبسطة على الأرض باستدارة ، وشوكتها معقفه مثل الشصوص على شكل شوك العليق ، ولها ورق شكله مثل شكل السفرجل ، وثمر شبيه بالزيتون في شكله إذا انفتح ظهر منه زهر أبيض وإذا سقط منه الزهر كان شبيها بالبلوط مستطيلا ، إذا فتح ظهر من جوفه شبيه بحب الرمان صغار حمر وأصوله كبار في حد الخشب كثيرة ، وينبت في أماكن خشنة وأرض نباتها قليل لغلبة الحجر عليه وجزائر وخرابات[٦] .

جالينوس في ٦ : قشر أصل الكبر الغالب عليه الطعم المر ، وبعده الطعم الحريف ، وبعدهما الطعم القابض . وهذا مما يدل على أنه مركب من قوى مختلفة متضادة[٧] . وذلك أنه يقدر أن يجلو وينقى ويفتح ويقطع لمكان مرارته وأن يسخن ويحلل لمكان حرافته ، وأن يجمع ويشد ويكنز لمكان قبضه ، ولذلك صار قشر هذا الأصل أنفع من كل دواء آخر يعالج به الطحال الصلب إذا ورد إلى داخل البدن أيضا بأن يشرب بالخل أو بالخل والعسل وبغير ذلك مما أشبهه أو بأن يخفف ويسحق ويخلط بهذه ، وذلك أنه يقطع الأخلاط الغليظة اللزجة إذا شرب على هذه الصفة تقطيعا بينا ويخرجها في البول وفي الغائط ، ومرارا كثيرة قد يخرج مع الغائط شيئا دمويا فيسكن الطحال ويخفف أمره على المكان ، وكذا يفعل في وجع الورك[٨] . وهو مع هذا يدر الطمث[٩] ويحدر البلغم[١٠] إذا تغرغر به الإنسان وإذا مضغه ، وينفع

---

(١) Emmenagogue

(٢) Anthelminitic

(٣) Hemorrhoid

(٤) Aphrodesiac

(٥) Antidote

(٦) اللافت للنظر أن هذا الوصف سواء للنبات أو للموئل الذي يعيش فيه ، لا يكاد يختلف عن الوصف العلمي الحديث .

(٧) الطريف أن البحث العلمي الحديث أثبت وجود عشرات المركبات في هذا النبات .

(٨) قد يكون هذا هو عرق النسا .

(٩) Emmenagogue

(١٠) Expectorant

من الهتك العارض الذي يقع في رأس العضلة وفي وسطها ، وإذا وضع أيضا قشر هذا الأصل على الجراحات الخبيثة كما يوضع الضماد نفعها أعظم المنفعة من طريق أنه يقدر أن يجففها ويجلوها جلاء وتخفيفا قويا ، وكذا ينفع من وجع الأسنان مرة إذا استعمل بالخل ، ومرة إذا استعمل مطبوخا بالشراب ، ومرارا كثيرة يستعمل أيضًا وحده بأن يعض عليه الإنسان ويمضغه ، وقد يجلو البهق إذا طلي عليه بالخل[١] ، ويحلل الخنازير[٢] والأورام الصلبة إذا خلط مع الأدوية النافعة لذلك .

وأما ثمرة هذا النبات فقوّتها على مثال قوة قشر الأصل منه إلا أنها أضعف من القشر وأما ورقه وقضبانه فقوّتها أيضا تلك القوة وأني لأعلم أني حللت في بعض الأوقات صلابة الخنازير في أيام يسيرة بورق الكبر وحده ، وقد يخلط مع الورق بعض الأشياء التي يمكن فيها أن تكسر من شدة قوته وإذا كان هذا الورق كذلك فليس من العجب أن تكون عصارته تقتل الدود في الأذن[٣] لمكان مرارتها . فأما الكبر الذي يكون في البلد الكثير الحرارة بمنزلة الكبر الذي في بلاد تهامة فهو أشد حدة وحرافة من الذي يكون عندنا بمقدار كثير جدا ففيه بهذا السبب من القوة المحرفة مقدار ليس باليسير[٤] وقال في كتاب أغذيته ثمرته المملحة قبل الغسل تطلق البطن ولا تغذو البتة وأما إذا غسلت ونقعت حتى تذهب عنها قوة الملح بتة صارت على مذهب الطعام تغذو غذاء يسيرا جدا ، وإما علي مذهب الإدام التي يتأدم بها فتؤكل مع الخبز ليطيب بها أكله ، وإما على مذهب الدواء فإنها تكون حينئذ موافقة لتحريك الشهوة المقصرة ولجلاء ما في المعدة والبطن من البلغم وإخراجه بالبراز ولتفتيح ما في الكبد والطحال من السدد وتنقيتهما . ومتى استعملت هذه الثمرة في هذا الوجه فينبغي أن تستعمل مع خل وعسل أو مع خل وزيت قبل سائر الطعام كله وقضبان الكبر أيضا يؤكل طريها كما يؤكل قضاب البُطُم[٥] ويكبس أيضا كما تكبس تلك إما في الخل والملح وإما في الخل وحده .

ديوسقوريدس : وقد تعمل قضبانه وثمره بالملح ، وإذا أُكل ليَّن البطن وهو ردئ للمعدة معطِّش ، وإذا أكل مطبوخا كان طيب الطعم ، وإذا شرب من ثمره ثلاثين يوما في كل يوم وزن

(١) توجد دراسات حديثة عن الأمراض الجلدية التي تعالج بمكونات هذا النبات .

(٢) Scrofu

(٣) دود الأذن مرض يسمى النَّغَف Myiasis

(٤) هذا أمر ثبت علميا كما سبق أن ذكرنا .

(٥) Pistacia atlantica

درهمين بشراب حلل ورم الطحال ، ويدر البول ويسهل الدم . وإذا شرب نفع عرق النسا[١] ومن الداء المسمى قوالوسيس ، ومن وهن العضل وإذا شرب أدرّ الطمث وإذا مضغ قلع البلغم . وثمره إذا طبخ بالخل وتمضمض بطبيخه سكن وجع الأسنان .

وقشر أصل الكبر حار يوافق الأمراض التي ذكرناها ويوافق القروح المزمنة الوسخة الجاسية ، وقد يخلط بدقيق الشعير ويتُضمد به للورم في الطحال ، ومن كان بسنه ألم فعض على أصل الكبر بسنه الألم نفعه من ألمه ، وإذا دُقّ ناعما وخُلط بالخل ولطخ على البهق الأبيض جلاه ، وإذا دق ورقه وأصله واستعمل للخنازير والأورام الصلبة حللها ، وإذا دق وأخرج ماؤه وقطر في الأذن قتل الدود المتولد فيها والكبر النابت في البلاد التي يقال لها مرماريط[٢] ينفخ نفخا مفرطا والكبر الثابت في البلاد التي يقال لها أقوليا يحرك القيء ، والكبر الذي من بحر القلزم[٣] والذي من نينوي حريف جدا ينفط الفم[٤] ويأكل اللثة حتى تتغير منه الأسنان فلذلك لا يصلح هذا الصنف من الكبر للمطعم .

* ابن ماسويه : والكبر النابت في البلاد وفي المروج والآجام كثير النفخ ، فلذلك ينبغي أن لا يتعرض لما ينبت منه في هذين الموضعين .
* البصري : ورق الكبر وثمره متساويان في القوة إلا أن في الثمر بعض الزيادة على الورق وأقوى منهما أصله ، واليبس في أصله أغلب من الحر . والكبر حار يابس في الدرجة الثالثة رديء للمعدة وإن نقع بخل ذهب الخل بضرره للمعدة .
* الفارسي : الكبر ترياق[٥] يطيب الفم ويطرد الريح ويزيد في الباه .
* الجون : يشفي النواصير التي تكون في الآماق وأصله جيد للبواسير إذا دخن به .
* الطبري : أصله ينفع من القروح الرطبة إذا وضع عليها من خارج . وإذا طبخ وصب ماؤه على الرأس الذي فيه قروح رطبة نفعه وإذا أكل مع الفلفل والسذاب نفع من السدة التي تكون في الكبد من البرد .

---

(١) Sciatica

(٢) مارماريكا Marmarica - Mareotis منطقة مربوط غرب الإسكندرية حتى حدود مصر مع ليبيا .

(٣) خليج السويس ، واللافت للنظر أن الجبال المتاخمة لخليج السويس ينمو فيها نوع من الكبر وهو مختلف عن النوع الموجود في الساحل الشمالى .

(٤) يؤدي إلى ظهور بثور .

(٥) Antidote

* اسحق بن عمران : حبُّه رديء الغذاء يتعفن فيصير مرة سوداوية ، وقضبانه أجمد منه .

* ابن سمحون ، قال ابن ماسه : الكبر وفقاحه[١] وقضبانه نافعة للطحال ، فإذا أريد اتخاذه فينبغي أن ينقع بماء وملح أياما ثم يغسل بماء عذب مرتين أو ثلاثا ثم يخلل ، فإذا عزم على أكله لذلك يكون بعد أربعين يوما بعد أن يصب عليه زيت مغسول . قال : وكامخ[٢] الكبر من صالحي الكوامخ المسخنة للمعدة وأقلها ضررا وينبغي أن يؤكل بالزيت قبل الطعام لسرعة انهضامه وأنه لا يبطيء في المعدة وهو يصدع الرأس إذا أكثر منه وكامخ حب الكبر أيضا مثله في كل أحواله إذا صير معه صعتر[٣] رطب أو أفرنجمشك أو مرماخور[٤] وكامخ الكبر جيد للمعدة والطحال .

* التجربتين : ورقه ولحاء أصله إذا جُفِّف وسُحق وأضيف أحدهما إلى الزفت وضمد به قروح الرأس الشهدية اليابسة العتيقة أبرأها إذا تمودى عليه ، وكذا يفعل في القروح الخبيثة الغليظة المواد ولا سيما إذا كانت في الأعضاء الجافة ، وتستعمل في المرطوبي المزاج في قروحهم الخبيثة مدروسا بالشحم ، وإذا درس ورقه مع الشحم ووضع على أورام العنق البلغمية والخنازير والغدد ألحمها وحللها كلها ، وكذا يحلل الأورام البلغمية في سائر الجسم إلا أنه في أورام العنق والإبط والأربية أقوى ، وكذا يوضع أيضا على فسوخ العضل ولا سيما في الأعضاء الصلبة فينفعها ، وإذا سحق أصله وخلط بأحد الأدوية العطرية[٥] المقوية كالسُّنبل[٦] والاسطوخودوس[٧] والإذخ[٨] . وعجن بعسل ولعق وافق وحلل ما في الصدر من البلغم اللزج وأخرجه بالنفث ونفع من أوجاعه الحادثة عنه وسهل نفثه ، وينفع من أوجاع المعدة والمائدة ويفتح بهذه الصفة سدد الكلى ويضمر الطحال وينفع من أوجاعه منفعة بالغة ، وإذا تغرغر به وبطبيخ سائر أجزائه كلها نقى الدماغ وأحدر منه بلغما لزجا ، وماء ورقه إذا

---

(١) أزهاره .

(٢) نوع من الأدم ، معرَّب .

(٣) نوع من جنس الصعتر Thymus

(٤) نوع من جنس البردقوش Origanum

(٥) النباتات الثلاث التالية التي ذكرت نباتات تحتوي على زيوت طيارة لها رائحة عطرية .

(٦) Meum athamanticum

(٧) Lavandula stoechas

(٨) Cymbopogon shoenanths ويعرف باسم حلف بر .

شرب قتل أصناف الحيوان المتولدة في الجوف وشربته من أربعة دراهم إلى ما حولها .

* الرازي في كتاب الحاوي : أدام صديق لي أكل كامخ الكبر فسَحَجَه[١] وأرى إن حقن بعصير الكبر من به عرق النسا كان بليغا جدا ، وقال في موضع آخر كامخ الكبر حار يابس مهزل للبدن ، والكبر المخلل أقل حرارة من المكبوس بالملح . وقال في كتاب دفع مضار الأغذية : كامخ الكبر رديء للمعدة معطش ملهب ليست منفعته للطحال كالكبر المخلل بل دون ذلك بكثير ، وذلك أنه يعطش ويسقى الماء بملوحته ، والماء يربى الطحال ويعظمه ولا سيما إن كان حارا أو ماء بطيء النزول ، ولكنه يقطع ويجلو ويشهي الطعام ويدفع فضوله إلى أسفل ، وهكذا تفعل الكوامخ المالحة فإنها كلها معطشة ملهبة ضارة للعين إذا أدمنت ، فأما ما ينقع في الخل وتعتريه حموضته فأقل إعطاشا وإلهابا للبدن وأوفق للمحرورين . وقال : والكبر المخلل يلطف الطحال ولا يسخن ولا يعطش إلا قليلا ويضر من به سعال أو أسحاج وخلفة[٢] ضررا شديدا فإن أخذ منه فليتلاحق بصفرة البيض النميرشت[٢] بعد التغرغر بماء حار مرات .

ما ذكره الأنطاكي

(كَبَر)

هو القبار لا الخردل كما شاع بمصر ، ويسمى السلب والبسراسيون والقطين ، وثمره اللصَف والشَّفَلَّح ، وهو نبت شائك كثير الفروع دقيق الورق له زهر أبيض يفتح عن ثمر في شكل البلوط[٣] ويشق عن حب أصفر وأحمر فيه رطوبة وحلاوة ويكثر بالخراب والجبال ، وكله حار يابس قشر أصله في الثالثة وقضبانه في الثانية كحبه ، وورقه في الأولى . والشفلح الرطب رطب فيها وقيل ببرده وتزداد حرارته في الإقليم الحار وبالعكس والعمدة على قشر أصله هنا يبرئ الطحال مطلقا عن تجربة خصوصا بالسَّكَنجبين[٤] في الشرب ، ودقيق الترمس في الطلاء ، ويخرج الفضول اللزجة ويزيل السدد وبرد الكبد والمعدة وما في الدماغ من البرودة ، ويدر ويبرئ السموم ويخرج الرياح ويجلو البهق ويدمل القروح ويقوي الأسنان

(١) خدشه

(٢) في الأصل : خلفة ، والأصح خلف

(٣) بيض غير كامل النضج بسلقه لمدة قصيرة لا تكفي ليصبح متماسكا .

(٤) Querqus

ويقطع البلغم والنسا والمفاصل بالعسل والربو في المبرود والخل في المحرور شربا وطلاء ، ويجبر الكسر والنهك[١] والوهن ويحل[٢]الخنازير والصلابات وعصارته تخرج الديدان عن تجربة ولو من الأذن قطورا وتليه الثمرة ثم باقي الأصل فيما ذكر ، والمملح من المخلل يفتح الشهوة ويعيدها بعد سقوطها . وأجود ما أكل قبل الأطعمة وهو يضر المعدة المحرورة ويصلحه السكنجبين وشربة قشره ثلاثة وعصارته أوقية يضر المثانة ويصلحه الأنيسون[٣] .

(١) شراب الخل والعسل ، عن الفارسية سركا أنكبين ، شراب مشهور يراد به كل حامض وحلو .
(٢) يقال نَهَكته الحمى ، فهو منهوك ، أي رؤي أثر الحمى عليه منها .
(٣) يحلل .
(٤) Pimpinell anisum

CLARISSIMI ET PRAECELLENTISSIMI

DOCTORIS

ABVALI IBN TSINA

Qui hactenus perperàm dictus est

AVICENNA

CANON MEDICINÆ

Interprete & Scholiaste

VOPISCO FORTVNATO

PLEMPIO

TOM. I.

Librum primum & secundum Canonis exhibens, atque ex libro quarto tractatum de Febribus.

LOVANII,

Typis & Sumptibus HIERONYMI NEMPAEI

CUM GRATIA ET PRIVILEGIO.

طبعة لوڤان ـ بلچيكا

شكل (١)

AVICENNÆ

ARABVM MEDICORVM

PRINCIPIS.

Ex Gerardi Cremonenſis verſione, & Andreæ Alpagi Belunenſis caſtigatione.

A Ioanne Coſteo, & Ioanne Paulo Mongio Annotationibus iampridem illuſtratus.

Nunc nouo ab eodem Coſtæo recognitus, & nouis alicubi Obſeruationibus adauctus.

Quibus Principum Philoſophorum, ac Medicorum conſenſus, diſſenſuſque indicantur.

Vitæ ipſius Auicennæ ex Sanſon-Adelæ eius Diſcipulo, & Nicolao Myrepſo Latine ſcriptæ, & ſyrupi quidam ex præcipuis eius compoſitionibus ſumpti

Addita præterea librorum Canonis argumenta, ordo Tabulis Hippocratis in eiusdem Medicinam et Aph[orismos], alph[abetum] Arabum

Per Fabium Paulinum Vtinenſem.

Cum Priuilegio quatuor Principum, Pontificum maximi, Illustrissimi Senatus Venetiarum, Illustrissimi Ducis Venetiarum, Illustrissimi Senatus Venetiarum, Illustrissimi Ducis Venetiarum

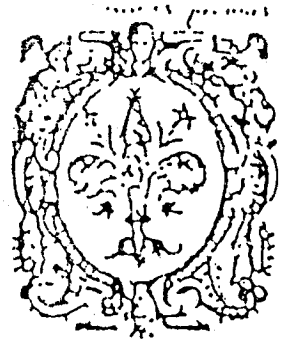

VENETIIS, M DC VIII

Apud Iuntas.

طبعة من طبعات البندقية ـ ١٦٠٨

شكل (٢)

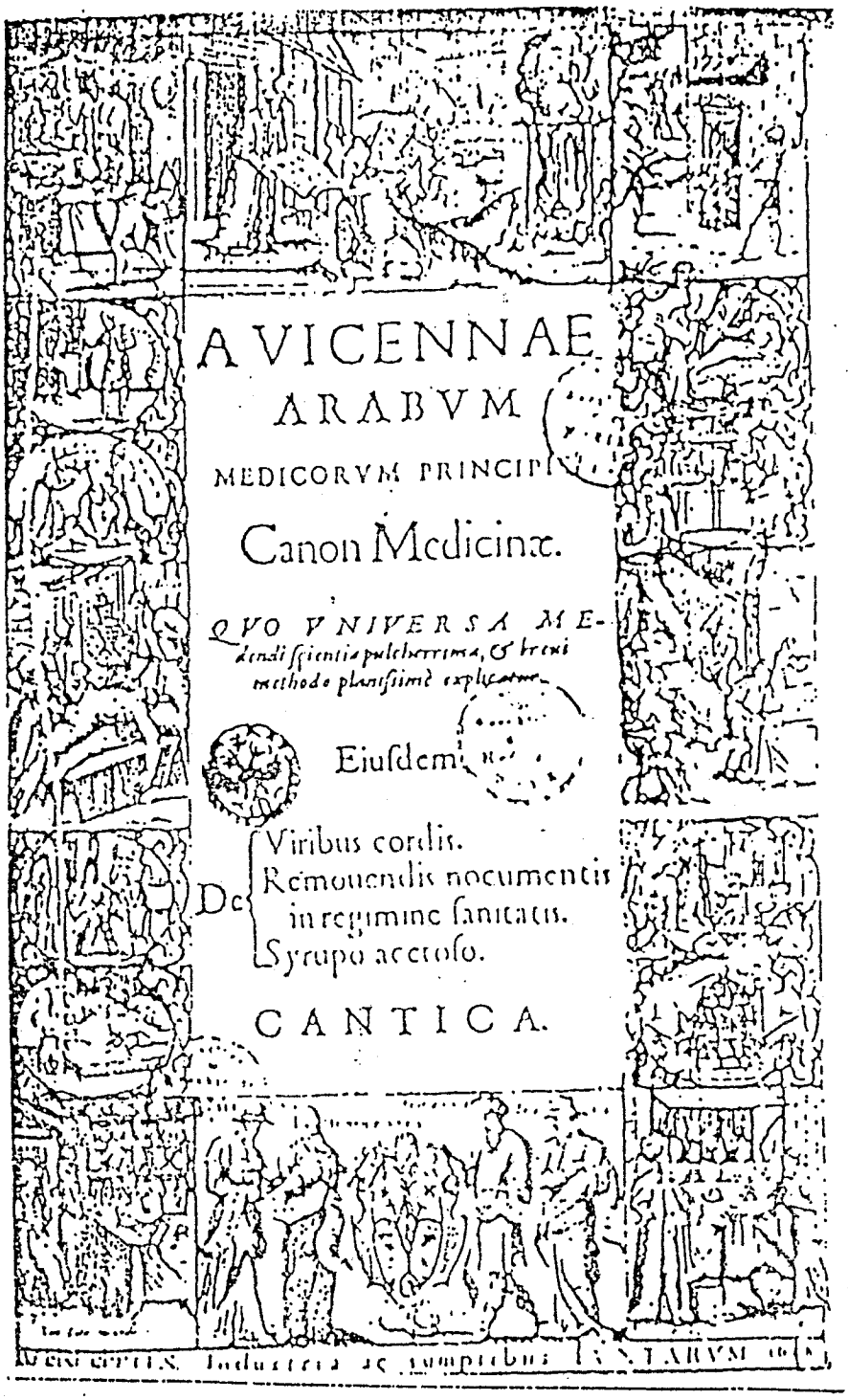
AVICENNAE
ARABVM
MEDICORVM PRINCIPIS
Canon Medicinæ.
QVO VNIVERSA ME-
dendi scientia pulcherrima, & breui
methodo planissimè explicatur.
Eiusdem
De { Viribus cordis.
Remouendis nocumentis
in regimine sanitatis.
Syrupo acetoso.
CANTICA.

شكل (٣)

IOANNIS MESVAE
DAMASCENI
MEDICI CLARISSIMI
OPERA,

De medicamentorum purgantium delectu, exhibitione, & vsu. Libri duo.
Quorum priorem Canones vniuersales, posteriorem de
SIMPLICIBVS vocant.

GRABADIN, hoc est Compositi secretorum medicamentorum, Libri duo.
Quorum prior ANTIDOTARIVM, posterior de Appropriatis vel confectionibus.

Cum MYROBLANI, HONAIN, MANAEI, & SERAPIONIS quibusdam alijs libris
adiectionibus, quæ vulgò cum his prodire consueuerunt.

Ad Lectoris electionem, in libro Simplicium descriptorum inspiciendum, vtilissimus index.

Et IOANNIS COSTAEI Annotationes, cum quæ in editionibus priorib. desiderabantur, tum præcipuæ
nouæ, diu in publicum nondum Antidotarij lectionem, ope desideratæ.

Adiecta vtili, quæ cum Medicis agentibus tantæ fuerit, ea quod volumen continet, quod nemo
hactenus in Medicorum officina reperiit.

CVM PRIVILEGIIS.

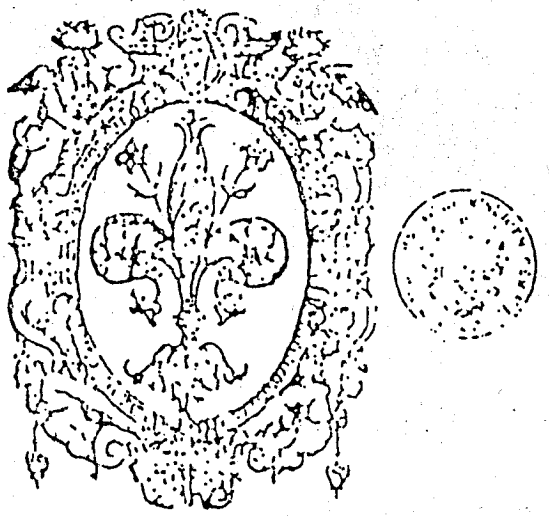

VENETIIS, Apud Iuntas. M D C X X I I I.

طبعة البندقية ــ ١٦٢٣

شكل (٤)

RAZAE

LIBELLVS DE PESTE

DE GRAECO IN LATI-
num ſermonem uerſus.
PER NICOLAVM MACCHELLVM
Medicum Mutinenſem.

AQVA NON SI-

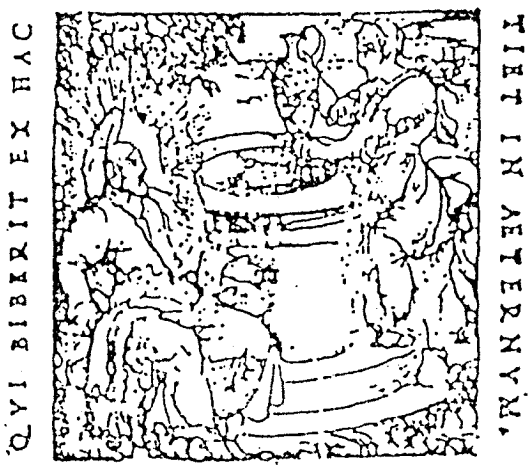

Venetiis apud Andream Arriuabenum ad
ſignum Puteã. M D L V.

شكل (٥)

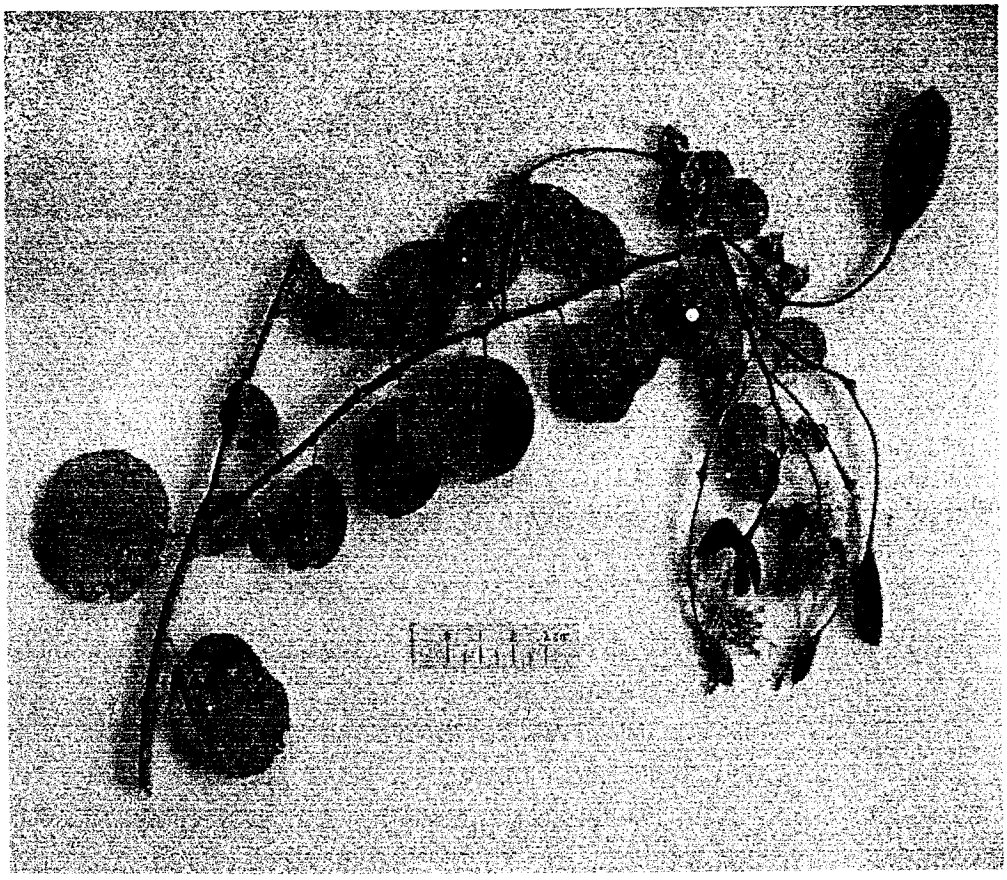

نبات الكبار المزهر والمثمر

شكل (٦)

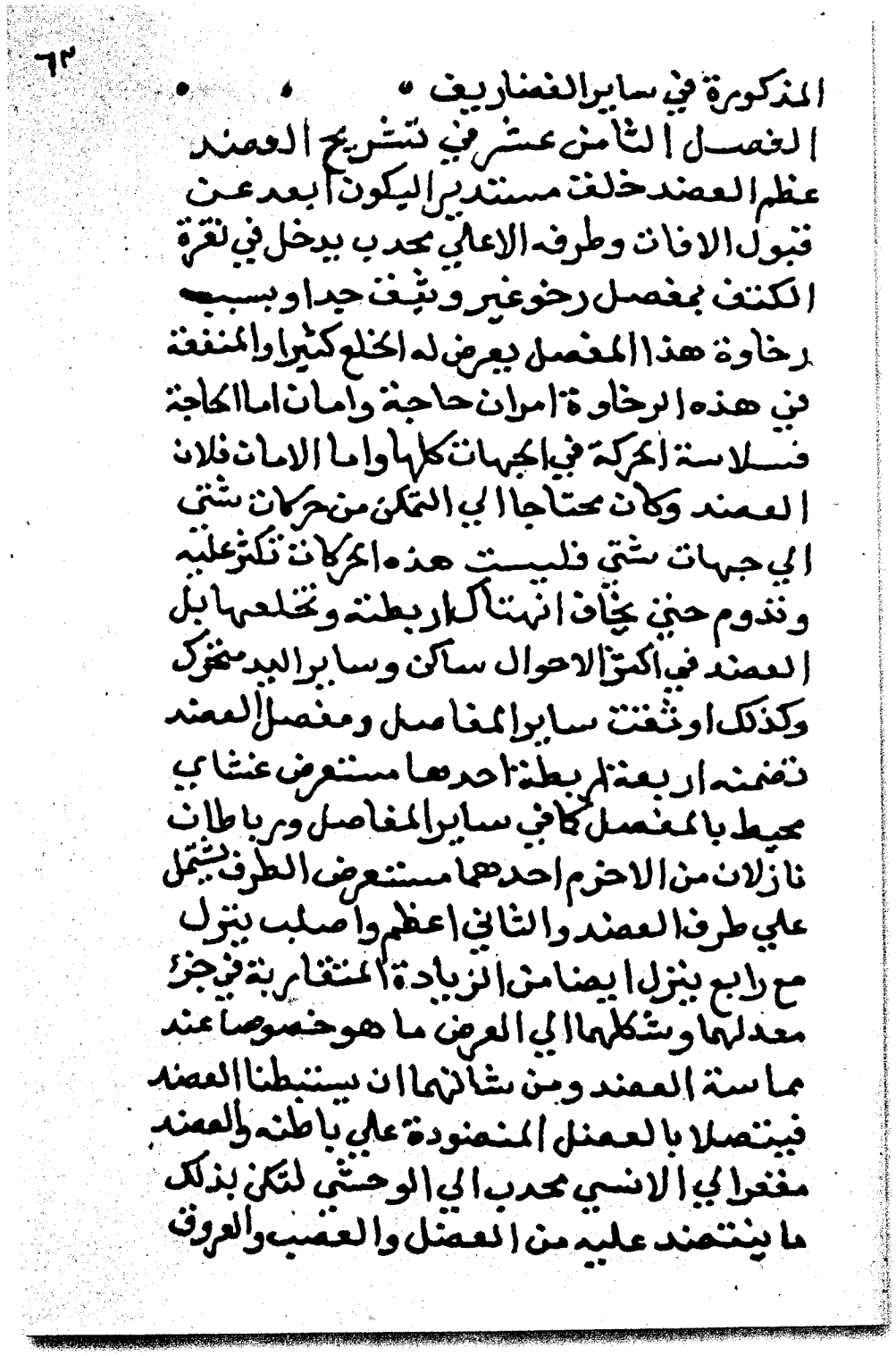

المذكورة في سايرالغضاريف
الفصل الثامن عشر في تشريح العضد
عظم العضد خلق مستديرا ليكون أبعد عن
قبول الافات وطرفه الاعلي محدب يدخل في نقرة
الكتف بمفصل رخو غير وثيق جدا وبسبب
رخاوة هذا المفصل يعرض له الخلع كثيرا والمنفعة
في هذه الرخاوة امران حاجة وامان اما الحاجة
فلاستة الحركة في الجهات كلها واما الامان فلان
العضد وكان محتاجا الي التمكن من حركات شتي
الي جهات شتي فليست هذه الحركات تكثر عليه
وتدوم حتي يخاف انهتاك اربطته وتخلعها بل
العضد في اكثر الاحوال ساكن وسايرالبدن متحرك
وكذلك اوثقت سايرالمفاصل ومفصل العضد
تضمنه اربعة اربطة احدها مستعرض غشائي
محيط بالمفصل كما في سايرالمفاصل وربا طان
نازلان من الاحزم احدهما مستعرض الطرف يشتمل
علي طرف العضد والثاني اعظم واصلب ينزل
مع رابع ينزل ايضا من الزيادة المتقاربة في جزء
معدلهما وشكلهما الي العرض ما هو خصوصا عند
مماسة العضد ومن شانهما ان يستبطنا العضد
فيتصلا بالعضل المنصودة علي باطنه والعضد
مفرد الي الانسي محدب الي الوحشي لتمكن بذلك
ما ينتصد عليه من العضل والعصب والعروق

صفحة من كتاب القانون في الطب

شكل (٧)

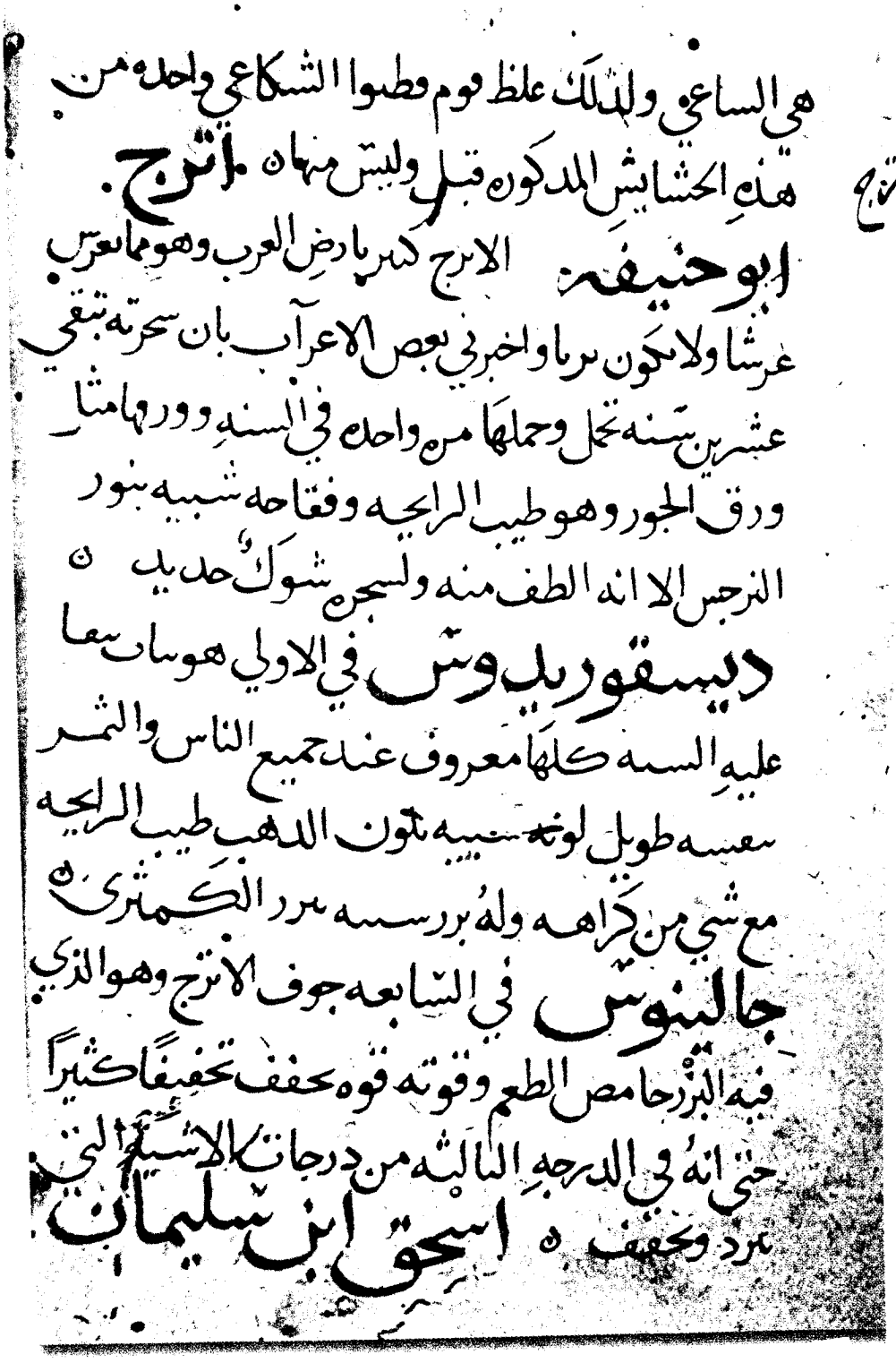
هي الساعي ولذلك غلظ قوم وقطوا الشكاعي واحده من
هذه الحشايش المذكوره قبل وليس منها الاترج.
الاترج
ابو حنيفه: الاترج كبار بارض العرب وهو مما يعرش
عرشا ولا يكون برما واخبرني بعض الاعراب بان شجرته تبقى
عشرين سنه تحمل وحملها من واحده في السنه وورقها مثل
ورق الجور وهو طيب الرايحه وفقاحه شبيه بنور
النرجس الا انه الطف منه ولشجر شوك حديد ٥
ديسقوريدوس في الاولي هو ساعيا
عليه السمه كلها معروف عند جميع الناس والثمر
سعسه طويل لونه شبيه بلون الذهب طيب الرايحه
مع شيء من مراره وله برد سسه برد الكمثرى ٥
جالينوس في السابعه جوف الاترج وهو الذي
فيه البزر حامص الطعم وقوته قوه تحفف تحفيفا كثيرا
حتى انه في الدرجه الثالثه من درجات الاشياء التي
برد وتجفف ٥ اسحق ابن سليمان

صفحة من كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

شكل (٨)

صفحة من كتاب تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب

شكل (٩)

المراجـع

ابن البيطار ، ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي

كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .

القاهرة ، ١٢٩١ هـ .

ابن سينا ، أبو علي الحسين بن علي بن سينا

القانون في الطب .

طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق . بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ .

الأنطاكي ، داود بن عمر الأنطاكي

تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب .

بيروت : المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .

البتانوني ، كمال الدين حسن

أسرار التداوي بالعقار بين العلم الحديث والعطار .

الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . ١٩٩٤

هوينكه ، زيجريد

شمس العرب تسطع على الغرب .

ترجمة : بيضون دسوقي : بيروت : ١٩٦٩

Batanouny, K. H. 1999.

Wild medicinal plants in Egypt. International Union for Conservation (IUCN) and Academy of Scientific Research and Technology. Cairo, Egypt.